مقدمة في علم الحديث

تأليف

علي عبد العزيز الصدّيقي رحمه الله

بمشاركة محمد الصدّيقي

© حقوق النشر 2026

هذا الكتاب مُقدَّم لفائدة طلبة العلم، ويجوز مشاركته ونسخه وطباعته أو الانتفاع به مجاناً للأغراض التعليمية والدينية. لا حاجة إلى إذن. أرجو فقط أن يُذكر اسم المؤلِّفَين:

علي عبد العزيز الصدّيقي و محمد عبد العزيز الصدّيقي

وأن يُذكر عنوان الكتاب «مقدمة في علم الحديث» عند الاستفادة منه.

إلى علي، رحمه الله.

لا يزال نورك يُضيء طريق طلّاب العلم.

أرجو من كل قارئ ينتفع بهذه الصفحات أن يذكر علياً في دعائه، وأن يسأل الله له أن يغفر له ويرفع درجته ويجعله في الصالحين.

نسأل الله أن يكون هذا العمل صدقةً جاريةً له، ومنفعةً لكل من يقرأ ويتعلَّم ويتدبَّر.

نبذة عن المؤلفَين

علي، رحمه الله، وُلِد في الكويت ونشأ في المملكة المتحدة، فأكسبه ذلك إتقاناً طبيعياً للعربية والإنجليزية معاً. لاحظ مبكِّراً صعوبة الدراسات الإسلامية على غير الناطقين بالعربية، فكرَّس نفسه لإنشاء قنوات تُيسِّر العلم الشرعي باللغتين. أمضى وقته في مطالعة كتب الحديث والمؤلَّفات الإسلامية الإنجليزية ليجعل معانيها أوضح وأيسر فهماً للآخرين. وُلد هذا الكتاب من رحم هذا الشغف خلال سنوات دراسته للطب في الخارج.

محمد، الذي نشأ هو الآخر بين الكويت والمملكة المتحدة، شارَك أخاه علياً ميزة النشأة بين اللغتين. وكان **علي** كثيراً ما يستعين به في كتابة بعض أجزاء الكتاب. وخلال فترة إعداد هذا الكتاب، كان **محمد** يقيم في الكويت، وكلما أراد التعمُّق في فهمٍ ما، رجع إلى علماء موثوقين هناك للاسترشاد. وتعكس مساهماته الرغبةَ الصادقة نفسها في تيسير العلم وجعله متاحاً.

الفهرس

نبذة عن المؤلفَين ***4***

الفهرس ***5***

المقدمة ***7***

الفصل الأول: تدوين الحديث ***9***

الفصل الثاني: الأمهات الست وغيرها من المجاميع ***10***

المجاميع الرئيسية بالنسبة لنا نحن العامة **12**

الفصل الثالث: تفاصيل عن الأمهات الست ومسند أحمد ***13***

صحيح البخاري **13**

عن الإمام البخاري 14

صحيح مسلم **15**

عن الإمام مسلم 16

سنن النسائي **17**

عن الإمام النسائي 18

سنن الترمذي **19**

عن الإمام الترمذي 20

سنن أبو داود **21**

عن الإمام أبي داود 22

سنن ابن ماجه **22**

عن ابن ماجه 23

مسند أحمد بن حنبل **24**

عن الإمام أحمد بن حنبل 25

الفصل الرابع: مختصر في علم الحديث ***27***

مختصر في مصطلحات تقسيم الحديث **29**

العودة إلى الصحيحين **30**

مسند أحمد **32**

الخاتمة ***34***

المراجع ***36***

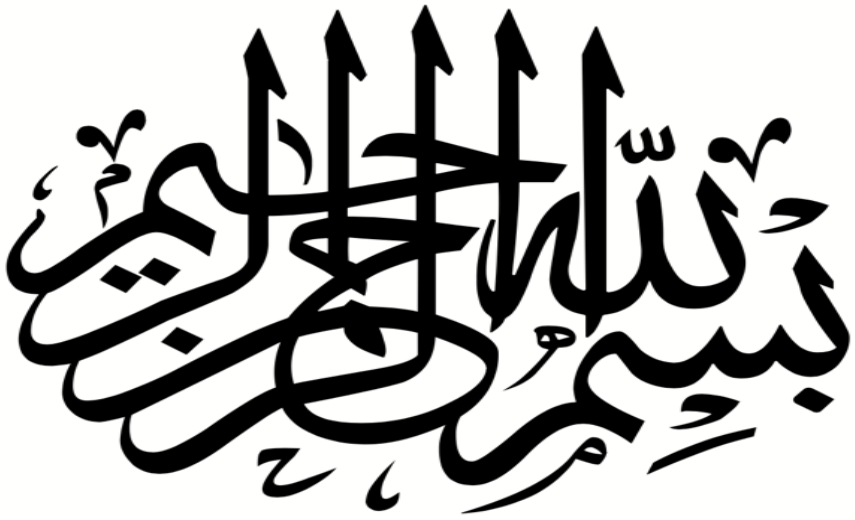

المقدمة

يُعرَّف **الحديث** بأنه: «*خبرٌ متَّصلٌ بالنبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو وصفٍ خَلْقي أو خُلُقي*»، كما عرَّفه الشيخ ابن عثيمين (المتوفى سنة 1421 هـ، الموافق 2001 ميلادياً) في كتابه *مصطلح الحديث*.

وببساطة: الحديث هو ما قاله محمد ﷺ وما فعله وما كان عليه ﷺ.

وقد أضافت دار السلام في مقدمة ترجمتها لصحيح مسلم: «*كلمة الحديث في العربية تعني: المحادثة، والخبر، والرواية، والتقرير، كما تعني الجديد والحادث*».

ومن المصطلحات المهمة كذلك: **الأثر**[1]، ويُعرَّف بأنه «*ما يُروى عن الصحابة والتابعين*»، وقد يُطلق على الحديث أيضاً فيكون أعمَّ وأشمل. وهو تعريف ابن عثيمين في الكتاب المذكور آنفاً.

وذكرت دار السلام أيضاً في مقدمة ترجمتها لصحيح مسلم أن المعنى اللغوي للأثر هو الأَثَر والعلامة والبقية.

[1] الأثر هو أيضاً المصطلح الذي تستند إليه العقيدة الأثرية، وهي عقيدة السلف، عقيدة مبنية على الأدلة من الكتاب والسنة. (تُعرَّف العقيدة والفقه بإيجاز في الحاشية 30).

والصحابة، و*التابعون*، و*أتباع التابعين* هم «القرون الثلاثة المفضَّلة»، ويُسمَّون أيضاً *السلف الصالح*. ولاحظ أنّ مصطلحَي **الحديث** و**الأثر** يُستعملان أحياناً بالتبادل.

الفصل الأول: تدوين الحديث

كُتب بعض الحديث في زمن النبي محمد ﷺ، لا سيما الأحاديث الكثيرة التي رواها عبد الله بن عمر[2] رضي الله عنه. كما وَرَد ذكرُ خطبة كُتبت في زمن النبي ﷺ بأمرٍ منه، كما جاء في كتاب *مصطلح الحديث*، باب كتابة الحديث.

ومع أن بعض الأحاديث كُتبت في عهد النبي ﷺ، فإن أغلبيتها العظمى لم تُدوَّن في زمنه، وإنما بعده. وقد أمر عمر بن عبد العزيز، الخليفة الأموي، بتدوين الحديث خشية ضياعه. وكان الزُّهري أوَّل من شرع في تدوين الحديث بعد أمر الخليفة، سنة 124 هـ[3].

[2] صحابي مشهور للنبي محمد ﷺ.

[3] للإشارة، توفي النبي محمد ﷺ سنة 11 هـ، أو 632م في التقويم الميلادي.

الفصل الثاني: الأمهات الست وغيرها من المجاميع

الأمهات الست أو **الكتب الستة**: هي مجاميع الحديث التالية:

- صحيح البخاري (ت 256 هـ / 870 م)
- صحيح مسلم (ت 261 هـ)
- سنن النسائي (ت 303 هـ / 916 م)
- سنن أبي داود (ت 275 هـ)
- سنن ابن ماجه (ت 273 هـ)
- سنن الترمذي (ت 279 هـ / 893 م)

هذه هي الكتب الستة الكبرى في الحديث، وقد صُنِّفت كلها بين سنتي 200 و300 هـ. ولم تكن أولى مجاميع الحديث ولا آخرها[4]. ومن المجاميع **السابقة لها**:

- موطأ مالك (ت 179 هـ / 796 م)
- مسند الشافعي (ت 204 هـ)

[4] من المهم الإشارة إلى أن المجموعات المذكورة أعلاه ليست بترتيب إكمال التصنيف بالضبط، بل بترتيب وفاة مؤلفيها بالتقويم الهجري. تواريخ الإكمال يصعب تحديدها بدقة. والتواريخ الميلادية المذكورة هي تقديرات محسوبة من الهجري. ذُكرت بعض التواريخ الميلادية لتسهيل وضع الخط الزمني وتوفير نقاط مرجعية في التاريخ.

- مصنَّف الصنعاني (ت 211 هـ)
- مصنَّف ابن أبي شيبة (ت 235 هـ)
- مسند أحمد بن حنبل (ت 241 هـ / 856 م)

ومن المجاميع التي صُنِّفت **في زمن** أصحاب الكتب الستة:

- مسند البزَّار (ت 292 هـ)
- مسند أبي يعلى الموصلي (ت 307 هـ)
- الأدب المفرد (للبخاري أيضاً)

ومن المجاميع التي صُنِّفت **بعد** أصحاب الكتب الستة:

- صحيح ابن حبَّان (ت 354 هـ / 965 م)
- المعجم الكبير للطبراني (ت 360 هـ)
- سنن الدارقطني (ت 385 هـ)
- شُعَب الإيمان والسنن الكبرى والسنن الوسطى للبيهقي (ت 458 هـ / 1066 م)

ومن الواضح أنّ مجاميع الحديث كثيرة، وثَمَّ أخرى كثيرة لم أذكرها. وهناك أيضاً مجاميع جُمعت في الأساس بانتقاء الأحاديث من المجاميع السابقة (وأكثرها من الكتب الستة).

ومن أبرز هذه المجاميع، وليس حصراً:

- رياض الصالحين للنووي (ت 676 هـ)
- الأربعون النووية
- بلوغ المرام لابن حجر (ت 852 هـ)

المجاميع الرئيسية بالنسبة لنا نحن العامة

ثَمَّ مجاميع كثيرة، وأكثرها يُستعمل كمراجع لا كتباً تُقرأ كاملةً من البداية إلى النهاية. ولتفادي الالتباس بكثرة المجاميع، ينبغي أن تعلم أنّ المجاميع الرئيسية التي يُعنى بها العامة مثلنا هي:

- الأمهات الست (والأدب المفرد)
- الأربعون النووية

ويُقال إنّ سنن الترمذي هو أيسر الأمهات الست وأقربها تناولاً.

ويُعدّ الأنسب للمبتدئين، وسيأتي مزيدُ كلامٍ عنه أدناه.

الفصل الثالث: تفاصيل عن الأمهات الست ومسند أحمد

في هذا الفصل ستُعرَض تفاصيل أساسية عن الأمهات الست ومسند أحمد، مع تراجم موجزة للمؤلفين. ويمكن الرجوع إلى تراجم مفصَّلة لهم في كتب علم الحديث. وما لم يُذكر خلاف ذلك في حاشية، فإنّ المصدر المعتمَد في معلومات الكتب ومؤلفيها هو كتاب *مصطلح الحديث* لابن عثيمين.[5]

صحيح البخاري

جمع البخاريُّ مجموعته التي سمّاها «الجامع الصحيح» باستخراج الأحاديث الصحيحة من أكثر من 600,000 حديث. وكان البخاري شديد التحرّي في انتقاء الأحاديث، فلا يضع حديثاً في صحيحه إلا بعد أن يغتسل ويُصلّي ركعتين يستخير اللهَ تعالى في وضعه أم تركه. ويحوي صحيح البخاري من بين الأمهات الست أعلى نسبة من الأحاديث الصحيحة، يليه صحيح مسلم، ثم سنن النسائي في درجة الصحة.

[5] قد توجد حالات استخدمت فيها مصدراً غير «مصطلح الحديث» مثل كتب دار السلام، أو استنتاجاتي الخاصة من محاضرات ومصادر أخرى، دون ذكر المصدر صراحةً. لكنّ المعلومات في هذه المقالة موثوقة بقدر ما يستطيع شخص عامي مثلي تحقيقه. لقد بذلتُ (مجازياً) الدم والدموع في إنتاج وتنقيح هذا العمل ليكون نافعاً للمسلمين، ابتغاء وجه الله.

وقد جمع البخاري صحيحه خلال 16 عاماً، ثم عرضه على علماء عصره. ومن العلماء الذين عرض عليهم صحيحه كبار العلماء كأحمد بن حنبل، ويحيى بن مَعِين، وعلي بن المديني وغيرهم. وقال الإمام الذهبي[6]: إنّ صحيح البخاري بعد القرآن أصحُّ كتاب.

وأمّا عدد أحاديث صحيح البخاري، فقال ابن حجر: إنها 7397 حديثاً جملةً (بتكرار الأحاديث، وبيان الطرق والمتابعات). وبدون التكرار: 2602 حديثاً فريداً في صحيح البخاري.

عن الإمام البخاري

اسمه محمد بن إسماعيل، ولُقِّب بـ «البخاري» نسبةً إلى موطنه بُخارى من خراسان[7]، وتقع اليوم في أوزبكستان[8]. وُلد سنة 194 هـ، وتوفي سنة 256 هـ في خَرْتَنك، قريةٌ بقرب سمرقند[9].

مات أبوه وهو صغير، فربّته أمه.[10]

---

[6] الذهبي (ت 748 هـ) من أعلام العلماء يُستشهد به كثيراً. وقد ذكرته أنا أيضاً عدة مرات في هذه المقالة. وهو تلميذ ابن تيمية (ت 728 هـ، أو 1328م).

[7] خراسان منطقة تشمل تقريباً جزءاً من إيران وتركمانستان وأفغانستان وأوزبكستان، لكن حدودها الدقيقة محل خلاف. يمكن الرجوع إلى مقال موسوعة بريتانيكا عن خراسان في قائمة المراجع.

[8] قصة كنيته ومسقط رأسه مستفادة من ترجمة الدكتور محسن خان لصحيح البخاري، في مقدمة الجزء الأول.

[9] كانت سمرقند أول عاصمة لأوزبكستان عند تأسيسها سنة 1924، ثم نُقلت العاصمة إلى طشقند سنة 1930 (بريتانيكا، 2024).

[10] معلومة وفاة والده مستفادة كذلك من د. محسن خان.

بدأ البخاري حفظ القرآن وبعض الحديث وهو صغير جداً، وشرع في الرحلة لطلب الحديث سنة 210 هـ (وعمره نحو 16 سنة). وكان يتمتَّع بقدرة عجيبة على الحفظ، يحفظ الكتب كاملةً من نظرة واحدة (قراءة أولى). رحل إلى الحجاز[11]، والشام[12]، ومصر، والجزيرة[13]، كما رحل إلى البصرة والكوفة وبغداد[14].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل (قبله)»، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنّ البخاري كان جبلاً من جبال العلم بين كبار العلماء.

صحيح مسلم

قال الإمام النووي: «اختار (الإمام مسلم) من المناهج ما يكاد يكون كاملاً، وكان شديد التحرّي في معارفه، ما لا يقدر عليه إلا الأفذاذ من أهل زمانه».

[11] منطقة فيما يُعرف اليوم بالمملكة العربية السعودية، تشمل مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة (بريتانيكا، 2023).

[12] ويُعرف بـ «بلاد الشام» أو «اللِفانت» بالإنجليزية، ويشمل تقريباً مناطق فلسطين والأردن وسوريا ولبنان.

[13] الجزيرة العربية تشمل مناطق دول الخليج.

[14] البصرة والكوفة وبغداد كلها في العراق.

ومن أقرب من خالطه مسلم: البخاريُّ نفسه، فكان يُذاكره الحديث كثيراً، وإن صنّف مسلم مجموعته منفصلاً، وكثيراً ما يكون اشتراك صحيح البخاري وصحيح مسلم في حديث (الصحيحان) بسبب تَشابُه منهجيهما الصارمَين في انتقاء الحديث[15].

وفي صحيح مسلم 7275 حديثاً بالمكرَّر، وبدون التكرار نحو 4000 حديث فريد[16].

عن الإمام مسلم

اسمه مسلم بن الحجَّاج النَّيسابوري. وُلد سنة 204 هـ في نيسابور[17] من خراسان، وتوفي سنة 261 هـ في المدينة نفسها. وفي طلب الحديث رحل إلى مواطن قريبة من تلك التي رحل إليها البخاري، كالحجاز والشام والعراق ومصر. ولما قَدِم الإمام البخاري نيسابور، لازمه الإمام مسلم كثيراً، فأخذ عنه واقتبس كثيراً من منهجه.

بدأ الإمام مسلم[18] طلبَ الحديث في سن 18، فأخذ عن يحيى بن يحيى التميمي. وفي سنة 220 هـ رحل إلى مكة للحج[19] فأخذ عن عبد الله بن سَلَمة القَعنبي (وهو نفسه من كبار

---

[15] الجزء الذي يلي الاقتباس ويسبق عدد الأحاديث هو من استنتاجي الخاص.

[16] كما ذكر ابن عثيمين في «مصطلح الحديث».

[17] نيسابور اسمها العربي، وهي اليوم مدينة في شمال شرق إيران، ويُكتب اسمها أيضاً «نيشابور» (بريتانيكا، 2018).

[18] قدّمت دار السلام ترجمة موجزة للإمام مسلم في ترجمتها لصحيح مسلم، وأنقل عنهم بقية هذه الترجمة المختصرة لمسلم.

[19] لم تحدّد دار السلام ما إذا كانت هذه حجة أم عمرة.

تلاميذ الإمام مالك)، وغدا شيخه الأساسي. كما طلب العلم في الكوفة، ثم أخذ عن علماء مصر، وكان نظام تلقّي الأحاديث عندهم يجمع بين السماع والكتابة.

وتُبرز ترجمة دار السلام المستفيضة للإمام مسلم قوّةَ منهجه في جمع الحديث وتوثيقه، ومتانةَ شخصيته. وتُظهر مسلماً منفتحاً على النقد، طالباً للعلم جنباً إلى جنب مع كبار العلماء.

وذكرت دار السلام نقلاً عن *تذكرة الحفّاظ* أنّ مسلماً تلميذٌ للعلَّامة أبي زُرعة[20]، وأنّ من تلاميذ أبي زُرعة الآخرين علماءَ كباراً كأصحاب الكتب الستة: أبي داود، وابن ماجه، والنسائي، والترمذي، وغيرهم كثير من الأعلام البارزين.

وترجمة الإمام مسلم أطول وأبهى مما عرضتُه، لكني أكتفي بهذا القدر اختصاراً. وسيُعاد الحديث عن الصحيحين (البخاري ومسلم) في فصل «علم الحديث».

سنن النسائي

صنَّف الإمام النسائي أولاً مجموعةً كبيرةً يُناسبها اسم *السنن الكبرى*[21]، ثم لخَّصها واستخرج منها الأحاديث الأصحَّ فأنتج كتابه *المجتبى*، وهو ما يُعرف بـ *سنن النسائي*، أو *السنن*

[20] درس الإمام مسلم على يد أكثر من 200 عالم، من بينهم أحمد بن حنبل. مزيد عن شيوخه في ترجمة دار السلام لصحيح مسلم، مقدمة المجلد الأول.

[21] لا تخلط بينها وبين «السنن الكبرى» للبيهقي المذكورة سابقاً.

الصُّغرى[22]. وكان النسائي قد جمع في مصنَّفه الأول الضعيفَ والصحيح، ثم رَكَّز في *السنن الصغرى* الرواياتِ الأصحَّ.

وفي «مصطلح الحديث» يُثني ابن عثيمين على صحة سنن النسائي، ويقول إنّه يلي الصحيحين في الصحة (كما تقدَّم).

عن الإمام النسائي

هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شُعَيب بن علي النَّسائي. ولقب «النسائي» على الأرجح نسبةً إلى مدينة نَسا[23] من خراسان. وُلد سنة 215 هـ في نَسا من خراسان، وتوفي سنة 303 هـ في الرَّملة بفلسطين. وكأقرانه من أصحاب الكتب الستة، رحل النسائي في أنحاء العالم الإسلامي لجمع الأحاديث الكثيرة. ولم يُصنِّف مجاميع الحديث فحسب، بل ألَّف في علم الحديث أيضاً[24]. كما أنّ الطبراني، أحد المصنِّفين المذكورين أعلاه، كان من تلاميذ النسائي.[25]

---

[22] تفاصيل تسمية الكتاب من استنتاجي، لكن الحقائق مستمدة من ابن عثيمين ودار السلام.

[23] لـ«نسا» تاريخ مثير. كانت بلدةً تقع جنوب غرب عشق آباد، عاصمة تركمانستان الحالية، لكنّ المدينة توسّعت وأصبحت نسا جزءاً منها. يقول بعض العلماء إن نسا لا علاقة لها بكلمة «النساء» العربية. ويذكر آخرون قصة أكثر إثارة: أن العرب فتحوا هذه المنطقة نحو 651م، أو 29 هـ، وعند وصولهم كان رجال البلدة قد فرّوا ولم يبقَ سوى النساء للقتال، فسُمّيت بـ«نسا». وما إذا كانت المدينة سُمّيت بهذا الحدث يظل محل نقاش. من المصادر: مقدمة دار السلام لسنن النسائي، ومقال بريتانيكا 2023 عن عشق آباد، والله أعلم.

[24] ترجمة النسائي كانت الأصعب عليّ في التلخيص لغناها وكثافتها واتساعها. كما توجد تفاصيل كثيرة عنه وعن كتبه لم أُدرجها لكثرة ما فيها من خلاف، ولم أرد إرباك هذه المقدمة، فقد ذُهلتُ شخصياً وأنا أطالع ترجمته.

[25] ورد في المجلد الأول لسنن النسائي من دار السلام.

وتُروى قصة شائعة عن سبب تصنيف النسائي للسنن *الصغرى*، مدارُها أنّ أميراً سأل النسائيَّ: هل *سننه الكبرى* كلها صحيحة؟ فأجابه أنها ليست كلها صحيحة، فطلب منه الأمير أن يُصنِّف مجموعةً أصغر وأصحَّ، فكانت *المجتبى*. وعلى ظَرافة هذه القصة، تذكر دار السلام[26] أنّ أكثر العلماء لا يَعدّونها قصة صحيحة.

سنن الترمذي

ويُعرف أيضاً بـ *جامع الترمذي*، ويُعدّ أحسن الأمهات الست تنظيماً. و*سنن الترمذي* وكتب السنن الأربعة[27] هي في الحقيقة مجاميع تتمحور في معظمها حول مسائل الفقه. وكان الترمذي كثيراً ما يبيِّن سببَ كون بعض الأحاديث ضعيفاً أو حسناً أو صحيحاً. وذكرت دار السلام[28] أنّ الترمذي يذكر أحياناً آراء المذاهب الفقهية الأربعة[29]–[30] في أحاديث وأحكام معيّنة.

---

[26] في المجلد الأول من ترجمتهم لسنن النسائي.

[27] السنن الأربع هي بقية كتب الأمهات الست، أي سنن أبي داود، وسنن ابن ماجه، وسنن الترمذي، وسنن النسائي.

[28] في المجلد الأول من ترجمتهم لسنن الترمذي.

[29] المذاهب الأربعة هي: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي.

[30] الفقه هو علم الأحكام الشرعية العملية. والعقيدة المذكورة آنفاً تعني الاعتقاد، أي مذهب الإيمان والاعتقاد. من مذاهب العقيدة: الأثرية/السلفية (وهي التي على الحق)، والأشعرية، والماتريدية، والمعتزلة وغيرها. ملاحظة: تُستخدم «السلفية» أيضاً للإشارة إلى منهج في الفقه لا يتقيد بمذهب فقهي معيّن كالمذاهب الأربعة المذكورة في الحاشية 29.

عن الإمام الترمذي

هو أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي[31]. وُلد سنة 209 هـ[32] في ترمذ[33] من خراسان. كُفّ بصره في كبره، وتوفي سنة 279 هـ. ورحل في طلب الحديث إلى الحجاز والعراق وأنحاء أخرى من خراسان، ولا يبدو أنه رحل إلى مصر كغيره من علماء الحديث[34].

تَتَلْمَذ الترمذي على علماء كثيرين منهم البخاري نفسه، فروى عن البخاري[35]، والعكس بالعكس؛ إذ روى البخاري عن تلميذه الترمذي، مما يدل على تواضع البخاري في الأخذ عن تلميذه. والتقى الترمذي بمسلم وأبي داود، وأخذ عنهما.

ولم يكن الترمذي من كبار رواة الحديث فحسب، بل من كبار أئمة علم الحديث، صنَّف فيه كتباً كثيرة. ومن مصنَّفاته أيضاً *شمائل الترمذي*[36]، ويُعرف كذلك بـ *الشمائل المحمدية*، وفيه أحاديث كثيرة في وصف النبي ﷺ خَلقاً وخُلقاً وسيرةً وسلوكاً.

---

[31] جمعتُ معظم معلومات ترجمة الترمذي من ترجمة دار السلام.

[32] سنة ولادة الترمذي محل خلاف. يقول ابن عثيمين في «مصطلح الحديث»: 209، ويذكر آخرون 205 أو 200.

[33] ترمذ تقع حالياً في أوزبكستان قرب الحدود مع أفغانستان.

[34] معلومة عدم سفره إلى مصر مستفادة من الأستاذ عبد الرحمن حسن على يوتيوب، فيديو بعنوان «ترجمة الإمام الترمذي».

[35] مثل قول الترمذي: «سمعت محمد بن إسماعيل (البخاري) يقول». هذا أيضاً من ترجمة دار السلام.

[36] ذُكرت أسماؤه الشائعة آنفاً، كما يُعرف باسمه الأصلي «الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية».

وقد طوَّر الترمذي حقل علم الحديث تطويراً كبيراً، فصَنَّف مرتبةَ «الحسن» المشهورة في تقسيم الحديث.

سنن أبو داود

وتُكتب أيضاً «سنن أبي داود»، ولعلَّ هذه المجموعة أصحُّ ما بعد السنن الصغرى للنسائي.

وقد جمع فيها أبو داود في الغالب أحاديث صحيحة (أو قريبة من الصحة)، انتقاها من جملة نحو 500,000 حديث.

وقال أبو داود نفسه عن سننه: ما لم أُعلِّق عليه فهو «صالح». والمعنى المقصود بـ«صالح» محل خلاف؛ يرى ابن كثير أنه «حسن»، ويتابعه ابن الصلاح. ويُذكر أنّ أبا داود عرض مجموعته على الإمام أحمد بن حنبل، فأثنى عليها ثناء العالم العارف.

ويُحتمل أنّ سنن أبي داود أول مجموعة حديث صُنِّف عليها شرح[37]، وهو *معالم السنن* للعلَّامة الخطَّابي.

[37] مستفاد من المجلد الأول لترجمتهم لسنن أبي داود.

عن الإمام أبي داود

هو أبو داود سليمان السِّجستاني. وُلد سنة 202 هـ في قريةٍ من إقليم سجستان[38]، وتوفي سنة 275 هـ عن 73 عاماً. أخذ عن البخاري ومسلم والإمام أحمد بن حنبل، والتقى بالترمذي. ورحل رحلاتٍ واسعة في طلب الحديث، واشتُهر بصرامة منهجه في الجمع.

سنن ابن ماجه

هذه مجموعة ابن ماجه، تضمُّ نحو 4341 حديثاً. ولعلَّها الأقل صحةً[39] بين الأمهات الست، والحديث الذي ينفرد به ابن ماجه عن بقية الأمهات الست يُعدّ في الأصل ضعيفاً، وبعضها يُردُّ كلياً. غير أنّ كثيراً من أحاديث *سنن ابن ماجه* موجود في بقية الكتب الستة، فيقوى بذلك تلقائياً.

ويذكر ابن عثيمين أنّ الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي قال: إنّ *سنن ابن ماجه* يحتوي على 1339 حديثاً تفرَّد بها دون بقية الأمهات الست.

---

[38] سجستان (وتُسمى أيضاً سيستان) منطقة كانت تشمل أجزاء من إيران وأفغانستان، وتقع حالياً في الجزء الجنوبي الشرقي من إيران.

[39] الأقل صحةً مقارنةً ببقية الأمهات الست، لا أن مجموعة ابن ماجه كاملة تُعدّ ضعيفة أو مردودة.

عن ابن ماجه

هو أبو عبد الله محمد بن ماجه الرَّبَعي مولاهم القَزويني. وُلد سنة 209 هـ في قَزْوين، وتوفي سنة 273 هـ. ورحل إلى البصرة والكوفة وبغداد والشام ومصر والحجاز. وهو من كبار علماء الحديث المعتبرين، حتى أُدرجت مجموعته ضمن الأمهات الست.

الشكل 1

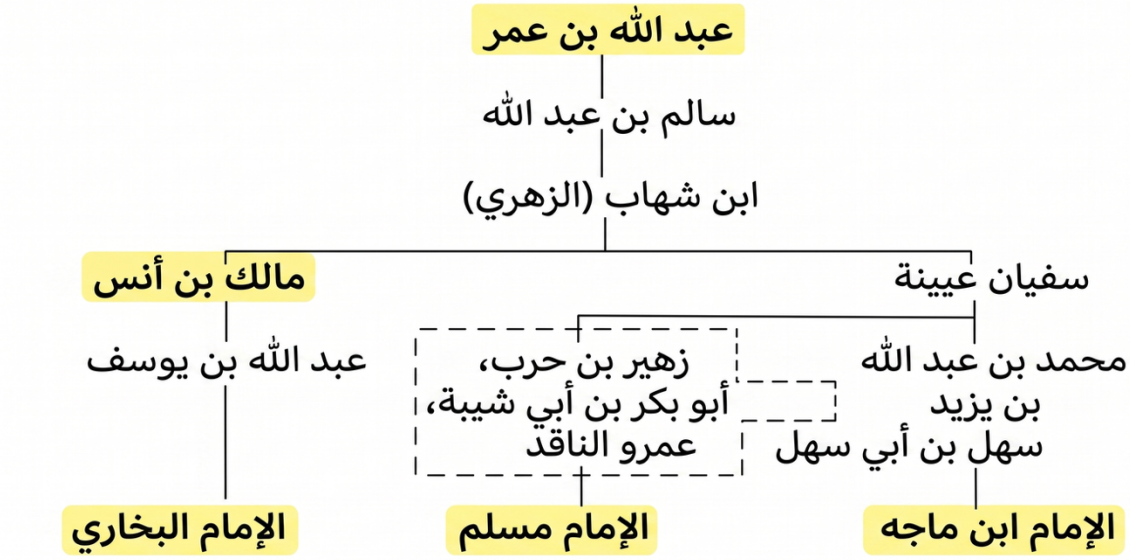

هذا الرسم وجدتُه في مقدمة *سنن ابن ماجه* من إصدار دار السلام، ويُظهر مثالاً لحديث ورد في *سنن ابن ماجه* و*صحيح مسلم* و*صحيح البخاري* مع بيان أسانيد روايته. ويبدأ السند بصحابي من أصحاب النبي ﷺ، وهو عبد الله بن عمر، الذي سبق ذكرُه في الفصل الأول. ومالك بن أنس المذكور في الرسم هو الإمام مالك المشهور. وقد تتبَّع الأسانيدَ الشيخُ زبير علي.

وقد استعملتُ تطبيق Notability لإعادة رسم خطوط الأسانيد لِما فيها من ضبابية، ولتحسين الصورة قليلاً، ولإبراز الصحابي الذي يبدأ به السند، وإبراز مالك بن أنس، وإبراز المجاميع الثلاثة التي ورد فيها الحديث. ولا أعرف بالضبط أيّ حديث هو؛ إذ لم يُحدِّده الشيخ زبير علي. لكنه مثال جيد على الإسناد الذي يأتي بيانه في الفصل الرابع. وكذلك الخط المنقَّط من إضافتي للتمييز بين السندين عن سفيان بن عيينة بوضوح.

ولا تخلط بين الإمام المالكي العَلَم في الفقه، الإمام مالك أو مالك بن أنس، والصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه. فالمذهب المالكي منسوب إلى الإمام مالك، وكذلك «موطأ مالك» المذكور في الفصل الثاني. والإمام مالك من أتباع التابعين، فهو من الجيل الأخير من السلف. وتذكَّر أنّ الصحابة هم الجيل الأول.

مسند أحمد بن حنبل

«مسند أحمد» أطول مجموعة ذكرتها في هذه المقالة، وقد جمعه الإمام العَلَم أحمد بن حنبل. وقد قال ابن عثيمين وابن كثير: إنّ مسند أحمد أعظم المسانيد بلا منازع. وأضاف ابن كثير أن لا يُماثله مسندٌ في الحجم أو في كمال التنظيم.

يحتوي مسند أحمد على 40,000 حديث، وبدون التكرار يبلغ نحو 30,000 حديث. وممَّا يجدر التنبيه عليه أنّ عبد الله بن أحمد[40] أضاف إلى المسند بعض الأحاديث التي جمعها بنفسه، وتُعرف بـ «زوائد عبد الله».

عن الإمام أحمد بن حنبل

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشَّيباني المَرْوَزي. وُلد سنة 164 هـ في مَرْو من العراق، ثم نُقل إلى بغداد. رحل الإمام أحمد لجمع الحديث، وبرع في حفظ السنة. واشتُهر كذلك بالفقه، وفي حياته بدأ الناس يدعونه فقيهاً[41] وإمامهم.

وهو من المشاهير تلاميذ الإمام الشافعي. قال عنه الشافعي: «خرجت من بغداد فما خلَّفت بها أحداً أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل».

وقال الإمام علي بن المديني: «إنّ الله أعزّ هذا الدين بأبي بكر الصدِّيق[42] يوم الردة[43]، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة[44]».

---

[40] صالح وعبد الله وحنبل بن أحمد بن حنبل، جميعهم أبناء هذا العالم الجليل.

[41] الفقيه ببساطة: صاحب الفهم العميق.

[42] أول خليفة للمسلمين بعد النبي محمد ﷺ، ومن أقرب أصحاب الرسول ﷺ، وأول من جمع القرآن في مصحف واحد. توفي بالمرض بعد عامين من وفاة النبي ﷺ.

[43] بإيجاز: بعد وفاة النبي ﷺ، ارتد بعض الناس وقاتلوا المسلمين، فسُحقوا. لم يكن لهم قِبَل بقوة الأمة بقيادة أبي بكر رضي الله عنه.

[44] عاش أحمد بن حنبل في عهد الدولة العباسية، حين أفسد الخليفةَ فرقةُ المعتزلة المنحرفة. حاول الخليفةُ والمعتزلة إكراه كثير من المسلمين على الانضمام إلى انحرافهم، فاستسلم بعضهم تحت الضغط. أمّا أحمد بن حنبل فقد قاوم فسادهم، وسُجن نحو 16 سنة عسيرة. وعُدّ منارة أمل لمن أبى الخضوع لانحراف المعتزلة.

توفي سنة 241 هـ في بغداد، عن 77 عاماً. خلَّف للمسلمين علماً غزيراً ومنهجاً متيناً. رحمه الله ورحم المسلمين، وجزاه عن جميل ما تركه للمسلمين خيراً.

الفصل الرابع: مختصر في علم الحديث

علم الحديث علمٌ ثَريٌّ جميل، يبحث في تصحيح الحديث وتاريخه ورجاله ومتونه وفقهه وتفسير القرآن به وغير ذلك كثير. وسأتناول هنا باختصار التصحيح، وصحة الصحيحين ومسند أحمد على وجه الخصوص.

يدور تصحيح الحديث في الأصل على التحقُّق من سلسلة الرواية، أو *الإسناد*؛ ومثاله **الشكل 1** المتقدِّم. أي مَن قال لمن ماذا، وكيف انتقل الحديث. وتُراعى عوامل كثيرة كالانقطاع في السند، وتقوى رجاله، وصدقهم، ومكانتهم، وضبطهم، وغير ذلك من العوامل.

والعيوب في السند، كالانقطاع، أو روايته من قِبَل كذابين كالواقدي أو الكلبي، تُضعِف الحديث. وقد رأى بعض العلماء أنّ الإصرار على معصية، ولو صغيرة، يكفي لردِّ الراوي كلياً، فيُحكم عليه بالضعف.

وممَّا يُقوِّي السند: مكانة الراوي وتقواه وضبطه.

وثَمَّ مفهوم الحديث *المتواتر*، ومعناه اللغوي «المتتابع». ويُقصد به ما نَقَله جمعٌ عن جمع جيلاً عن جيل، فقد يبدأ بـ 10 أو حتى 50 من الصحابة يَنقلون الحديث، فيأخذه عنهم مئات

من التابعين[45]، ويزيد عددهم في الجيل الذي يليه، وهكذا. والقرآن أيضاً منقولٌ بالتواتر، وثَمَّ كتب كاملة في أسانيد القرآن وفي الحديث المتواتر. ومن مزايا التواتر أنّ كثرة الناقلين تكشف الخطأ، فإن أخطأ واحد صحَّحه غيرُه. ومن مزاياه كذلك مقاومتُه القوية لأيّ تحريف متعمَّد للحديث أو لآيات القرآن.

وبعض الأحاديث لا تُنقل عبر أسانيد ضخمة، وتُسمَّى *الآحاد*، ولها فروع كثيرة. وأشهر فروعها الرئيسية ثلاثة: *المشهور*، *والعزيز*، *والغريب*.

ف*المشهور*: ما رواه ثلاثة فأكثر، ولم يبلغ شرط التواتر. ومثاله قوله ﷺ: «المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده». (رواه البخاري ومسلم والنسائي).

والعزيز: ما رواه اثنان. ومثاله قول الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه[46] من والده وولده والناس أجمعين». (رواه البخاري ومسلم).

وأخيراً *الغريب*: ما تَفرَّد بروايته واحد. ومثاله الحديث المتفق عليه: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى...».

---

[45] التابعون: الجيل الذي يلي مباشرة جيل صحابة النبي ﷺ.

[46] محبة الله أولاً، ثم محبة النبي ﷺ.

ومثال للحديث المتواتر: حديث رسول الله ﷺ الذي ورد في أول صحيح مسلم: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده من النار». نقله أكثر من 60 صحابياً بحسب ابن عثيمين.

مختصر في مصطلحات تقسيم الحديث

آخر ما أردتُ ذكره في علم الحديث: مصطلحات *الصحيح*، *والحسن*، *والضعيف*.

الصحيح: هو الموثوق، ويندرج تحت فرعين رئيسيين:

الأول: *الصحيح لذاته*، أي صحيح من تلقاء نفسه دون حاجة لغيره.

الثاني: *الصحيح لغيره*، حيث قد لا يبلغ الحديث رتبة الصحة بمفرده، لكنه يُعتضد بإسناد آخر قوي الصحة، فيقوى به الإسناد الأضعف.

الحسن: أن يكون الحديث مقبولاً، لكنه روي براوٍ أقلَّ ضبطاً وثقةً، وهو فرعان كذلك:

الحسن لذاته: أن يتصل سنده ويسلم رواته من العلل[47]، وأن يخلو من الشذوذ والعلَّة. فهو يقارب الصحيح، إلا أنه دونه في الضبط ودقَّة الرواة.

[47] أي ليسوا كذابين كالواقدي، أو محمد بن السائب الكلبي (المولود 119 هـ). لا يُخلط بينه وبين ابن جزي الكلبي.

الحسن لغيره: قد يكون الحديث ضعيفَ الإسناد بمفرده، لكن تتعدَّد طرقُه بحيث يُعَضِّد بعضها بعضاً. على ألَّا يكون في الإسناد كذابون أو وضَّاعون.

الضعيف: هو ما يكون إسناده ضعيفاً، ولا يندرج تحت الحسن لغيره أو غيره من الفروع الأقوى. وعادةً لا يُقبل، لكن قد يُؤذن به في حالات معيَّنة. فقد قَبِل ابن كثير الضعيف إن كان في فضائل الأخلاق مثلاً. وثَمَّ أدعية وأذكار وردت في أحاديث ضعيفة، فيجوز الدعاء بها أو الذكر بها ما لم تُنسب كذباً إلى من نُسبت إليه[48]. وبدهي ألَّا يحتوي الدعاء أو الذكر على محرَّم كالشرك ونحوه.

العودة إلى الصحيحين

أردتُ العودة إلى هذين الكتابين لذِكر أقوال بعض العلماء فيهما، مرجعي في ذلك ابن عثيمين في *مصطلح الحديث*.

[48] أي إن نُسِب كذباً إلى النبي ﷺ، فإنك لا تنسبه إليه.

الصحيحان (صحيح البخاري وصحيح مسلم) متَّفَق على أنهما أصحُّ مجموعتين (من بين مجاميع الحديث الرئيسية[49])، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإمام البخاري والإمام مسلم لا يجتمعان على حديث إلا وهو صحيح لا شك فيه».

ومع عظيم صحة الصحيحين والثناء الكثير عليهما، انتقد بعض العلماء أحاديث فيهما، رأَوا أنها أدنى مما ادُّعِيَ لها من الصحة. ويذكر ابن عثيمين أنّ العلماء قالوا: في صحيح البخاري 78 حديثاً، وفي صحيح مسلم 100 حديث، تُعدّ أقل صحة مما أُدُّعِيَ. وفيهما معاً 32 حديثاً مشتركاً يُعدّ أقلَّ صحةً مما يُدَّعى.

بيد أنّ ابن حجر العسقلاني، في مقدمته لـ *فتح الباري*[50]، قال: إذا اتفق البخاري ومسلم على صحة حديث فلا شك في صحته، موافقاً ابن تيمية.

وليس الغرض الطعن في حجية الصحيحين أو صحتهما، بل بيان أنّ ليس كلُّ ما فيهما يُعدّ صحيحاً، وأنّ العلماء لم يُجمعوا على صحة كل أحاديثهما. وفي النهاية، الإمامان البخاري

[49] الجزء بين القوسين من استنتاجي.

[50] هذا كتاب لابن حجر يشرح فيه أحاديث صحيح البخاري ويُعلّق عليها.

ومسلم بشرٌ يعتريهم النسيان والخطأ. رحمهما الله، ومنحهما الفردوس الأعلى جزاءَ ما قدَّماه من عمل عظيم.

مسند أحمد

يذكر ابن عثيمين أنّ لعلماء الحديث في الاحتجاج بمسند أحمد وصحته ثلاثة آراء رئيسية:

المجموعة **الأولى**: ترى أنّ جميع أحاديث المسند يُحتجُّ بها.

المجموعة **الثانية**: ترى أنّ المسند فيه الصحيح والضعيف *والموضوع* (المكذوب)، ويذكر ابن الجوزي أنّ في المسند 29 حديثاً موضوعاً[51].

المجموعة **الثالثة**: ترى أنّ المسند فيه الصحيح والضعيف بلا موضوع، وأنّ ضعيف المسند بمنزلة (أو قريب من منزلة) *الحسن*. وعلى رأس أعلام هذه المجموعة: ابن تيمية، والذهبي، وابن حجر، والسيوطي.

بل ادَّعى ابن تيمية أنّ شروط أحمد بن حنبل أقوى من شروط أبي داود، وقال: إنّ الأحاديث الموضوعة في المسند ليست مما رواه أحمد بن حنبل نفسه، بل مما رواه ابنه عبد الله.

[51] 29 حديثاً في مجموعة تضم 40 ألف حديث نسبة هيّنة جداً.

ويُثني ابن عثيمين على كتاب صُنِّف شرحاً لمسند أحمد، وهو *بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرَّباني* للشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا، ويُعرف بالساعاتي. عنوان طويل لكتاب طويل.

الخاتمة

تبيَّن أنّ تاريخ الحديث ممتدٌّ ثري، تَوَلَّى أمرَه علماء أفذاذ ذو ذكاء مذهل. ومجاميع الحديث كثيرة، وثَمَّ غيرها كثير لم أُدرجه أعلاه، وبعضها صُنِّف في زمن أصحاب الكتب الستة، كـ *كتاب الطبقات* لابن سعد الذي أَشَرتُ إليه في موضع آخر. والمجاميع المهمة في مستوانا الذي ينبغي أن نُركِّز عليه هي: *الأمهات الست*، و*الأربعون النووية*. ومن بين الأمهات الست، يُقال إنّ *سنن الترمذي* هو الأيسر والأنسب للمبتدئين أمثالنا.

كذلك تُعدّ تراجم المؤلفين وتفاصيل المجاميع جزءاً من علم الحديث، أو *علم الحديث*. بل إنّ دراسة التراجم تُسمَّى *علم الرجال*. ويمكن إيجاد تراجم أكثر العلماء في مقدمات كتبهم، إمّا بقلم المؤلف نفسه[52]، وإمّا بإضافة الناشر[53] أو غيره. وفصل علم الحديث المكتوب أعلاه ليس حقيقةً سنتيمتراً واحداً من قِمَّة جبل علم الحديث الجليدي. فجبل الحديث الجليدي يمتد إلى المنطقة الهادالية[54] (Hadal Zone)، أمّا الكتب التي وضعتها في ملف الحديث فلا تتجاوز سطح الماء.

---

[52] كالشيخ المباركفوري في «الرحيق المختوم».

[53] مثل دار السلام في الترجمات التي أشرت إليها.

[54] ينقسم المحيط إلى طبقات حسب العمق، وأعمقها «المنطقة الهادالية» (Hadal Zone)، وقد سُمّيت نسبةً إلى «هاديس» إله العالم السفلي في الأساطير اليونانية.

أسأل الله أن ينفع بـ*مقدمة في علم الحديث* قُرَّاءها، وأن يجعلها بدايةً طيبةً لطلَّاب العلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المراجع

Britannica, T. Editors of Encyclopaedia (2024, April 10). Tashkent. Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/place/Tashkent

Britannica, T. Editors of Encyclopaedia (2023, September 24). Hejaz. Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/place/Hejaz

Britannica, T. Editors of Encyclopaedia (2018, January 24). Neyshābūr. Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/place/Neyshabur

Britannica, T. Editors of Encyclopaedia (2023, December 11). Ashgabat. Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/place/Ashgabat

Britannica, T. Editors of Encyclopaedia (2024, April 3). Khorāsān. Encyclopedia Britannica. https://www.britannica.com/place/Khorasan-historical-region-Asia